النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٠/١٩٩٨
الأحد ٨ آذار
الأحد الأول من الصوم
أحد الأرثوذكسية
القديس المعظم في الشهداء ثاودوروس
قائد الجيش والقديس زخريا النبي
اللحن الخامس
إنجيل السحر الخامس

الـــرســـالـــة (عبرانيين ١١ : ٢٤ – ٤٠)
الإنـــجـــيـــل (يـــوحـــنـــا ١ : ٤٤ – ٥١)

+ أحد الأرثوذكسية

لقد سمي الأحد الأول من الصوم منذ العام ٨٤٣ "أحد إنتصـــار الأرثوذكســية"، لأن حرب تحطيم الأيقونات التي اندلعت عام ٨٢٦ انتهت في تلك السنة، وقد احتفـــل المؤمنـــون بهذا الانتصار فأقاموا زياحا للأيقونات في الأحد الأول من الصوم في مدينـــة القســـطنطينية برئاسة البطريرك مثوديوس ومشاركة الأمبراطورة ثيودورا الوصية على ولدهـــا ميخـــائيل الثالث. وصارت الكنيسة تعيد في هذا اليوم من كل عام لانتصار الأرثوذكسية على كل البدع.

لقد أوضح لنا المجمع المسكوني السابع المنعقد في نيقية عام ٧٨٧ لاهوت الأيقونـــة. هذا اللاهوت تنقله لنا الصلوات التي نتلوها في هذا الأحد. ففي صلاة الغروب نصلي : "أيـــها السيد، إنك وأنت محصور بطبيعتك الإلهية، قد تناولت ان تتجسد في آخر الأزمنـــة وتكـــون محصورا، لأنك باتخاذك الجسد اتخذت ايضا جميع خواصه، فلذلـــك نتمـــم رســـم صورتـــك

ونصافحه بالنظر إلى الأصل، متسامين نحو محبتك ومرتشفين منه نعمة الأشفية، تابعين تقليدات الرسل الإلهية". الأيقونة إذا تأكيد على تجسد السيد ومن يرفض الأيقونة إنما يرفض عقيدة التجسد، لذلك سميت بدعة محاربة الأيقونات هرطقة لأنها تمس الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس فتنكر تجسده، أما نحن فعندما نسجد الأيقونة لا نسجد للمادة إنما نسجد لعنصرها الأساسي أي الأصل المرسوم عليها. هذا ما توضحه ايضا صلوات السحر، "يا رب، إننا نعلق رسم صورة جسدك ونصافحه بالنظر الى عنصره، موضحين سر تدبيرك العظيم ايها المحب البشر، لأنك لم تظهر لنا بالوهم والخيال كما يزعم إتباع ماني المحاربين لله، بل بالحقيقة وبطبيعة الجسد الذي به نرتقي الى شوقك وعشقك الإلهي".

ليست الأيقونات كماليات عبادية تقوية اختيارية. انها نتيجة طبيعية للإيمان المسيحي بسر التجسد، تجسد كلمة الله. للأيقونة صفة اسرارية إذ أنها تجعل المسيح المرسوم عليها، او الحدث، حاضرا الآن أمام المؤمن. لذلك نرى الأيقونات تزين جدران الكنائس، وهناك كنائس مرسومة بأكملها، وكأنك تحيا منذ الآن الملكوت في حضرة الرب وجميع قديسيه. لذلك يجب ان تفرد في كل منزل مسيحي مؤمن زاوية مخصصة للأيقونات تدل على إيمان هذا البيت.

يضع هذا الأحد حقيقتين روحيتين أمامنا. الأولى هي انتصار الإيمان الحق، "وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا" (١ يوحنا ٤.٥). الإيمان بان الذي سوف نحتفل بموته ثم قيامته يوم الفصح ليس الا كلمة الله الذي صار إنسانا لأجلنا بيسوع المسيح. والثانية ان أيقونات القديسين تشهد ان الإنسان "المخلوق على صورة الله ومثاله" (تكوين ٢٦.١) يصبح قدوسا وعلى مثال الله عبر تنقية نفسه كصورة حية لله. عبر تنقية أنفسنا وأجسادنا بالصوم نستعيد صورة الله فينا التي شوهتها الخطيئة. وما أيقونات القديسين حولنا إلا شهادة على قداستهم وحث لنا على الجهاد فنستعيد مثلهم ما فقدناه منذ القديم ونعود من جديد ابناء الله على صورته ومثاله.

+ إكرام الأيقونات

في ما يلي خلاصة دفاع القديس يوحنا الدمشقي عن تعليم الكنيسة في إكرام الأيقونات المقدسة للسيد ملاتيوس الصويتي مطران بونس أيرس وسائر الأرجنتين، نقلا عن مجلة الإيمان :

"إن الله قد وضع لليهود هذه الشريعة وهذه الوصية الثانية من الوصايا العشر القائلة : "لا تصنع لك صنما او تمثالا منحوتا... الخ" لأنهم كانوا سريعي السقوط في عبادة الأصنام. اما نحن الذين أعطيت لنا نعمة الإيمان ونعمة الاتصال بالله – على حد اصطلاح اللاهوتيين

– بعد ان هجرنا البدع الخرافية وعرفنا الحقيقة، فيختلف الأمر معنا عن اليهود. ذلك انه قد أُعطي لنا ان نعبد الله الواحد الأحد فقط وان نعرف من معين كمال المعرفة الإلهية ونصبح أناساً كاملين وخصوصاً أننا قطعنا مرحلة الطفولة ولسنا بحاجة بعد الى مؤدّب. وفوق هذا فنحن قد حصلنا من الله على مقدرة تحكيم العقل وأصبحنا نعرف ما هو الذي يمكن تصويره وما هو ذاك الذي لا يمكن التعبير عنه بالصورة والرسم.

نعم ان "لله لم يره أحد قط" وانه ليس بالإمكان التعبير عن غير المنظور بالأيقونة ولا الوصول الى إدراك غير المدرك ولا رسم الذي لا يعرف طوله ولا عرضه ولا حجمه لأنه غير محدود، ولا تخطيط من هو بلا شكل ولا مادة، كما انه ليس بمقدورنا تمثيل من لا حجم له بالألوان، إنما هناك أمور أخرى تظهر وتعلن لنا بصورة سرية.

من البديهي مثلا انك عندما تشاهد من لا جسم له قد اتخذ جسدا لأجلك ان تصور شكله البشري، وعندما ترى غير المنظور صار منظورا بالجسد ان ترسم بالأيقونة صورة من اصبح موضوعا للنظر واللمس والسمع، وعندما ترى "الله آخذا صورة عبد وصائدا على شبه الناس" لا تتأخر بالطبع ان ترسم على الألواح صورته ليشاهد الناس الآتون بعدك ذاك الذي تنازل وقبل ان يراه الناس. أجل أرسم تنازله الذي لا يعبر عنه بالكلام وحده، صور ولادته من عذراء في مغارة، ومعموديته في الأردن وآلامه وصلبه الخلاصي، ودفنه وقيامته وصعوده الى السموات، ولا تبخل ان تنقل هذه الأمور الى إخوانك بني الإنسان أما بالكلام وأما بالرسم، ليحيوا من رسم عليها ويسجدوا لشخص الممثل فوقها. إعمل ولا تخش في عملك أحدا لأني اعرف الفرق بين سجود وسجود، اعرف ان السجود العبادي لله هو غير السجود الإكرامي للقديسين وأيقوناتهم.

"إن الأيقونات هي وسيلة شريفة للتذكير. فكما ان الكتاب يذكر المتعلمين الذي يطالعونه، هكذا تذكر الأيقونات الذين ينظرون اليها باحترام من غير المتعلمين، وكما ان الكلام يؤثر في السمع هكذا تؤثر الأيقونة في البصر ويتم الإدراك في كلا الأمرين عقليا".

+ الصلاة في الحياة المسيحية :

+ ما هي الصلاة ؟

الصلاة هي ارتقاء النفس البشرية الى الله. هي صرخة الأعماق والقلب المتخشع المتواضع. الإتضاع هو أساس الصلاة، بدونه لا يستطيع أحد أن يصلي. يخال للكثيرين ان الصلاة هي الطلب الى الله ان يمنحنا عطايا ضرورية لحياتنا او لحياة من نصلي من أجلهم.

وهذا ليس خطأ إنما هو الجانب الأقل أهمية من الصلاة، لأن الله يعـــرف حاجاتنـــا قبـــل ان نطلبها.

في الصلاة نطلب أولاً أن يمنحنا الله نعمة ان نعرف كيف نتوجه اليه لنصلّي. عمليـــاً لا يستطيع الإنسان بقوّته أو بإرادته ان يصلّي. فالصلاة ارتقاء لا يستطيع الإنســـان بلوغـــه بدون تدخل الله. لذلك يكون الإتضاع أول شروط الصلاة. المتضع القلب يعـــرف أن أول مـــا يسأله المصلّي هو ان ينال من الله عطية الصلاة. أي ان يمكّنه الله من الصلاة.

"لو كنت تعلمين عطية الله" (يوحنا ١٠.٤) يقول السيد للسامرية قرب البـــئر. قـــرب البئر حيث يأتي كل منا ليروي عطشه يأتي السيد ويكون اللقاء. انه هو من يبادر الى لقائنـــا والى طلب الماء ويؤكد : "لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيـــا" (يوحنـــا ١٠.٤). ان صلاتنـــا وطلباتنا الى الله هي، ويا للمفارقة، استجابة لدعوته إلينا ومحبته لنا، هي استجابة تروي ظمأنا الى الخلاص، "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب، من آمن بي كما قال الكتاب تجـــري مـــن بطنه انهار ماء حي" (يوحنا ٣٧.٧ و٣٨). "هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعـــب لان يـــاه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصا" (اشعياء ٣:١٢).

أيا تكن يوم الصلاة او لغتها فان الإنسان بكيانه الكامل يصلي. الا ان الكتاب المقدس يحدد المركز الذي تنبع منه الصلاة. انه القلب. فإذا كان القلب بعيدا من الله لا تكون صلاة.

القلب هو المسكن. هو حيث تستكين النفس وحيث تقيم فيه ينزل الله ويقيم له مـــنزلا، لأنه المكان الأبعد عن العقل والمنطق، وحده الله قادر ان يتفحص القلـــوب. القلـــب مســـكن الحقيقة، مكان الخيار الشخصي الحر، فيه نختار الحياة او الموت وبواسطته نقيم العهد فيحفظ العهد رباط العلاقة بالله.

الصلاة المسيحية هي نتيجة العهد الجديد بين الله والإنسان في يسوع المسيح. في عمل الله في الإنسان الذي يحركه الروح القدس باتجاه الآب وباتحاد تام بين الإرادة البشرية الحـــرة وشفاعة الابن الى الآب في سر الفداء.

+ الصلاة شركة في الملكوت :

في العهد الجديد الصلاة هي علاقة حية قائمة بين أبناء الله والآب الســـماوي وابنـــه وروحه القدوس. ان سر الملكوت هو الوحدة التامة بين الأقانيم الثلاثة يشترك فيها المؤمنـــون بصورة سرية ولكن حقيقية بواسطة الصلاة. الصلاة هي إقتبال الإنسان في شركة الثـــالوث. وهذه الشركة لم تكن ممكنة لولا الفداء على الصليب الذي بواسطته عبرنا من العبودية لنصير ابناء الله. "لأننا ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير ايضا بقيامته" (رومية ٥.٦). الكنيسة هي جسد المسيح الحي ونحن أعضاء هذا الجسد لأننا بالمعمودية لبسنا المسيح. "وانتم

متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا ان تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا الى كل مـــلء الله. والقادر ان يفعل فوق كل شيء اكثر جداً مما نطلب او نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا، لـــه المجد في الكنيسة في المسيح يسوع الى جميع أجيال دهر الدهور. آمين" (افسس ٣:١٨-٢١).

في الصلاة يسكن الله في قلب الإنسان فيصير الإنسان شريك الله في الملكوت.

+ في الصوم والسهر :

لقد اصبح معلوما ان كل جهاد ضد الخطيئة والشهوة يبدأ بتعـــب الســـهر والصـــوم، وخاصة الجهاد الذي يقاوم الخطيئة التي في داخلنا. عندما يبدأ الذين يجاهدون في هذه الحرب اللامنظورة بالصوم ثم بالسهر الذي

من يرغب في معاشرة هذين الأمرين (الصوم والسهر) طول حياتـــه يصبـــح حبيبـــا للعفة. فكما ان راحة البطن (إشباعه بالأطعمة اللذيذة) هي بداية كل الشـــرور، والإســـترخاء الناجم عن النوم هو مثير شهوة الفسق، فإن الصوم والسهر هما طريق الله المقدسة وأساس كل فضيلة. إن اليقظة في الخدمة الالهية الصائرة بصلب الجسد طول الليل والنهار هـــي عكـــس حلاوة النوم. الصوم يحافظ على كل فضيلة وهو بداية الجهاد وإكليل الذيـــن فـــي الإمســـاك وجمال البتولية والتقديس وبريق العفة وبدء الطريق المسيحية وأم الصلاة وينبـــوع القناعـــة والتعقل ومعلم السكينة وأساس كل الأعمال الصالحة. وكما ان الرغبة في النظر الى النور هي دليل صحة العينين فكذلك الرغبة في الصلاة هي دليل الصوم الحاصل بتمييز.

عندما يبدأ أحد بالصوم تتولد في ذهنه رغبة الهذيذ بالله لأن الجسد الصائم لا يقدر ان يبقى نائما على الفراش طول الليل، فعندما يوضح ختم الأصوام على فم الإنسان يبـــدأ ذهنـــه بالهذيذ بخشوع ويفيض قلبه بالصلاة وتظهر على وجهه ملامح الجدة، وتولي الأفكار القبيحة هاربة ويختفي كل جذل من محياه ويصير عدوا للشهوات واللقاءات الباطلة. لا يمكن ان يكون الإنسان صائما بتمييز ومستعبدا للشهوة الرديئة في آن واحد، الصوم بتمييز هو بنـــاء عظيـــم لكل صلاح ومن يهمله يكون قد قوض كل صلاح. هو الوصية التي أعطيت لطبيعـــة جنســـنا منذ بدء الخليقة، الا نأكل من ثمار الشجرة والمجاهدون، لكونهم يريدون إتمـــام وصايـــا الله يبدأون أولا بمخافته ومخافة مخالفة وصاياه لأن مخالفتها هي التي جلبت لآدم الهلاك الأول.

بدأ المخلص صومه بعدما ظهر للعالم في الأردن. وقد اقتاده الروح الى البريـــة بعـــد المعمودية فصام أربعين نهارا وأربعين ليلة. وجميع الذين خرجوا للسير وراءه وضعوا بداية جهادهم على هذا الأساس. إن الصيام سلاح جعله الله لنا، أفلا يلام من يزدري هذا السلاح ؟

وإذا كان واضع الناموس نفسه قد صام، أفلا ينبغي لحافظي الناموس ان يصوموا هم أيضاً ؟

ان جنس الأنام لم يعرف النصر ولم يقهر الشيطان إلاّ بهذا السلاح، وربنا "رئيس هذا النصر وبكره. هو الذي وضع إكليله الأول (الصوم) على رأس طبيعتنا. فالشيطان العائد المستبد، عندما يرى أحد الناس حاملاً هذا السلاح، يخاف حالاً ويتذكر انكساره أمام المخلّص في البرية وتنسحق قوته وتحترق برؤية السلاح الذي أعطانا إياه رئيس الجنود. فهل يوجد سلاح أمضى من الجوع الصائر لأجل المسيح والمانح القلب شجاعة في الصراع ضد أرواح الشر ؟ فالجسد المحاط بزمرة الشياطين يقوى قلبه وتزداد ثقته بمقدار ما يكدّ ويشقى. والمتوشح بسلاح الصوم يلتهب بالغيرة الإلهية كل ساعة. وإيليا الغيور كانت تتأجج غيرته على ناموس الله حين كان يصوم. فالصوم يذكر فاعله بوصايا الروح الى كونه وسيطا للناموس القديم والنعمة التي أعطيت لنا بالمسيح. المتهاون بالصوم هو متهاون بكل الجهادات، واسترخاؤه وضعفه سيسمحان للمحارب ان ينتصر عليه ويدخل الجهاد مجردا من سلاحه. فلن ينتصر لأن أعضاءه لم تتوشح بحرارة جوع الصيام. هذا هو الصوم ومن يثابر عليه يظل ذهنه غير متزعزع ومستعدا دائما لمجابهة الأهواء الصعبة وطردها.

يحكى عن كثير من الشهداء أنهم يوم انتظارهم قبول إكليل الشهادة (كانوا يعلمون ذلك إما بإعلان وإما بنبأ من أحد زملائهم) كانوا لا يذوقون شيئا تلك الليلة، بل كانوا يسهرون واقفين ومسلين ممجدين الله بالمزامير والتسابيح والنشائد الروحية، منتظرين تلك الساعة بفرح وحبور، كمن يتهيأ للعرس، مستعدين للسيف بصيامهم. أما نحن المدعوين الى الشهادة غير المنظورة لكي نحصل على إكليل التقديس فلنحترس بكل عضو من أعضائنا احتراسا خاليا من التراخي حتى لا يكون للأعداء مأخذ علينا.

القديس اسحق السرياني

+ أبرار العهد القديم

قبل تجسد الرب كان هناك صديقون وأصدقاء للرب، ويتكلم العهد القديم عنهم كثيرا. كان جميع هؤلاء يعيشون على رجاء مجيء للمخلص الذي سيقدم البدل من أجل خلاصهم. كانوا مستعدين ليسارعوا اليه لو ظهر في أيامهم ليتمتعوا بالحرية الروحية ويروا نور العالم ويهجروا الظل والرسوم ما دامت الحقيقة والجوهر ملك أيديهم. بهذا كان يتميز الصديقون عن الأشرار في العصر الذي قبل المسيح.

مات الصديقون والأشرار فوجدوا أنفسهم بعد الموت بعيدين عن النور. لقد تحمل الصديقون والأشرار القيود نفسها وعبودية العدو نفسها، ولكن ما هي الفروقات التي كانت

تفصل بين الصديقين والأشرار ؟ كان الصديقون يتألمون من حالتهم وكانوا يضرعون بكل نفوسهم الى الله لينقرض سجن الشيطان وتنحل العقالات. كانت الرغبة تلهبهم ليروا رأس العاتي مداسا مسحوقا. أما الخطأة فقد ركبتهم ألعماوة فما كانوا يشعرون بحالتهم المرعبة، وكانوا يريدون أن يبقوا عبيدا بين كفي الشيطان.

ألم يحدث هذا في عصر السيد المسيح مع الكتبة والفريسيين ورؤساء اليهود ؟ لم يقبلوا ثمن العدل أم يقبلوا المسيح. حاولوا ان يطفئوا نوره فعملوا المستحيل لخنق إشعاعاته وبهاء نوره. وفي الجحيم حيث نزل المخلص بعد موته على الصليب وجد صديقين وخطأة. استقبله الصديقون فتحرروا من العقالات والطغيان أما الخطأة الذين تشوهوا كليا فلم يقبلوا ملك الكل فبقوا في الظلمة أسرى أبديين بين يدي الطاغي العاتي.

ان الصديقين في أيام العهد القديم اظهروا بدون شك فضيلة كبرى ولكنهم لم يكونوا معتقين من النقائص والضعف. كان هؤلاء مرضى كالخطأة مع الفارق انهم كانوا يشعرون بضعفهم وكانوا يستجدون شفاءهم من الطبيب. أما غير التائبين، الخطأة الملتوون، فكانوا لا يقرون بجريرتهم وما كانوا يرغبون ان يخلصوا من عبودية الخطيئة.

في ذلك العهد سمى الله البعض صديقين وأصدقاء لأنهم فعلوا ما كان بإمكانهم أن يفعلوه وحققوا لأنفسهم فضيلة وعدلا حسب قدرتهم، ولم يكن عدلهم أهلا بخلاصهم، فالمخلص لم يكن بعد قد ظهر. لو كان عدلهم كاملا تاما لكان هؤلاء في "يد الله وفي سلام" (حكمة ٢.٣ و٣). وبما انهم لم يتمكنوا من تحقيق هذا الكمال انتهوا بعد الموت الى الجحيم، لكن السيد يسوع وهب التبرير الحقيقي للإنسان وحقق المصالحة مع الله ولم يكن بإمكان أي إنسان أن يقدم لنا مثل هاتين الهديتين اللتين لا تثمنان لأنه "لم يصعد أحد الى السماء إلا الذي نزل من السماء، اعني ابن الإنسان الذي كان في السماء" (يوحنا ١٣:٣).

قبل ذبيحة السيد على الصليب لم تكن هناك المغفرة للخطايا، لم يكن انعتاق من حكم الجحيم فهل كان بالإمكان التكلم آنذاك عن التبرير ؟ قبل المصالحة مع الله كانت ربط الخطيئة غير محلولة وبقيت. كان الإنسان يموت ولا سبيل لوقوفه في صف أصدقاء الله ولا مجال ليتوج بإكليل المجد الإلهي. لم تكن لحمل الفصح اليهودي الذي كان يقدم كضحية، لم تكن له القوة التي تخلص الإنسان. فلو كان لهذه الرسوم والرموز والصور في العهد العتيق القوة لتهب الغبطة المرغوبة لما كان للحقيقة والخلاص اللذين وهبهما الله من داع. وإذا كان البشر قبل الذبيحة الصليبية أصدقاء لله وأبرارا فلماذا أراد الرب بموته ان يقضي على العداوة ويهدم الحائط المتوسط بين الله والبشر الذي أوجدته الخطيئة، وان يهب الخلاص ويوطد السلام ؟

الأب نقولا كاباسيلاس (١٢٩٠ - ١٣٧١)